

تنمية روح المواطنة لدى الأطفال: دراسة سيكوتحليلية لعينة من قصص الأطفال

د. بن غدفة شريفة

وحدة البحث تنمية الموارد البشرية جامعة سطيف2

benghedfa@gmail.com

ملخص :

ما أسهل أن نعمل على تنمية روح المواطنة لدى الأطفال من خلال ما نقوله، ومن خلال ما نرسمه، ومن خلال ما نكتب لهم. إن أدب الأطفال ورغم أنه لا يلقى الاهتمام الكافي من طرف السيكولوجيين؛ إلا أنه يبقى بوابة مفتوحة على مصرعها يمكن من خلالها تنمية السلوكات التي تعزز فيما بعد روح المواطنة وترسخ الشعور بالانتماء للوطن لدى الطفل. وفي الواقع نجد الكثير من القصص التي تكتب وتوجه للأطفال، فهل محتوياتها تدل على أنها تهدف إلى ذلك، أم أنها مجرد قصص لا تُعنى بالمواطنة ولا بالمفاهيم التي تتعلق بها، وبالتالي لا سبيل إلى اقتنائها إلا من أجل التسلية. وعليه فإننا سنحاول اختيار عينة عشوائية من قصص الأطفال ودراستها من خلال تحليل جوانبها السيكلوجية التي تكشف عن مدى وجود مؤشرات تدل على أن القصة تحكي عن المواطنة.

Abstract:

It is easier to work on developing the spirit of citizenship among children through what we say, what we draw, and what we write for them. Although children's literature does not grab adequate attention by psychologists, it remains widely open for improving behaviors that promote and strengthen, later, the spirit of citizenship and reinforce the sense of belonging to the homeland to the child. In fact, we find a lot of stories that are written and directed for the children; however, we may inquire whether their contents aim at what they are written for, or they are merely just stories which do not consider citizenship and concepts to which they relate, and; thus, no need to use them only for entertainment. Accordingly, we try to select randomly a sample of children's stories and analyze through the psychological aspects that reveal whether there are indications that the story tells of citizenship or not.

مقدمة:

إن المواطنة أرواح المواطنة من المفاهيم المعقدة والخطيرة، ترتبط بالكثير من المفاهيم السياسية كالديموقراطية والشعب والقومية، والقانونية كالحقوق والواجبات، والاجتماعية كالانتماء والهوية والوطن، والسيكولوجية مثل الأنا والذاتية. إلا أن هذه المفاهيم لا يستطيع الطفل فهمها ولا تجسيدها في أرض الواقع كون أنها مفاهيم تجريدية لا يستطيع الطفل فهمها بسهولة، وعليه من واجب الدولة والمتمثلة في مؤسساتها التربوية والاعلامية غرس أسس هذه المبادئ ليكون الطفل مواطناً صالحاً يعيش في وطن يرتبط به بجسده وبروحه ولا يرضى غيره بديلاً.

إلا ان المسؤولية لا تقع على عاتق الأسرة أو مؤسسات الدولة فقط بل إن المثقفين والكتاب هم أيضاً مسؤولون عن التأسيس لهذه الروح كون أن الثقافة من أهم مكونات المواطنة والهوية. وهذا من خلال مجموعة من الطرق والأساليب منها الكتابة للأطفال؛ ونقصد بالتحديد قصص الأطفال، التي من المفروض بالاضافة إلى غايتها الترفيهية، يجب أن تكون غايتها أيضاً تنمية روح المواطنة لدى هؤلاء الأطفال.

أولاً: مشكلة الدراسة:

طفل اليوم هو مواطن الغد، نُعده ليشترك في تنمية وبناء وطنه سياسياً وعلمياً واقتصادياً. فإن لم يكن لديه علاقة عميقة وواضحة بعناصر

ومكونات الوطن الأساسية يمكن أن نتوقع انحراف هذا الطفل عند مرحلة الرشد إلى مواطن هدام بدل مواطن يساعد في تطوير وطنه. ولبناء مواطن يشعر بالانتماء لوطنه ويضحى من أجله وجب الاهتمام بالطفل من جميع الجوانب، خاصة الجانب الذي يؤثر في تكوين عقليته الأولية والأساسية، ولعل من أهم ما يساعد على التكوين العقلي السليم هو تقديم معلومات واضحة وسليمة في صورتها المكتوبة.

إن من أهم الصيغ المكتوبة للمعرفة التي يمكنها أن تساعد في تنمية روح المواطنة لدى الطفل هي القصص الموجهة له كونها أكثر استمرارية وترسيخاً للأفكار التي تتضمنها. حيث يجب أن تحترم هذه القصص المستوى العقلي للطفل لغرس المبادئ التي تنمي روح المواطنة؛ إذ لا بد من أن تكون مؤشرات المواطنة بالنسبة للطفل واقعية، بسيطة، تناسب سنه، ولها علاقة مباشرة ببيئته التي يعيش فيها، ومن الأفضل أن تكون متنوعة، أي؛ أن تتضمن مؤشرات دينية وثقافية، جغرافية وبيئية، مؤشرات لغوية وحضارية، مدنية وتاريخية، تكنولوجية... تكتب بلغة بسيطة تحبب الطفل فيما يقرأ ليحفظه ويفهمه بيسر ولا ينساه بسهولة أيضاً خاصة إن كانت القصة مصحوبة بمجموعة صور موضحة وملونة تحبب الطفل وتجذبه لقراءة هذه القصص وفهمها من خلال التعلق بها.

كما لا ننسى من جهة أخرى أهمية مرحلة الطفولة وخطورة تأثيرها على بقية مراحل النمو؛ المراهقة والرشد؛ هذا الراشد الذي سيصبح مستقبلا رئيسا ووزيرا وأستاذ جامعيًا، فلاحا وموظفا وعاملا... يكدحون متعاونين لبناء وللحفاظ والدفاع عن هذا الموطن الذي تشرب ومكوناته وعناصره من خلال قصة جميلة قرؤوها في مرحلة الطفولة. لهذه جاء هذه الدراسة كمحاولة لتحليل بعض قصص الأطفال، لاستخراج أهم المؤشرات التي تدل على روح المواطنة، ومدى علاقتها بالمكونات الأساسية للوطن الأم؛ الجزائر.

ثانياً: أهداف الدراسة:

يمكن اختصار أهداف الدراسة في النقاط التالية:

عرض بعض نماذج لقصص الأطفال لكتاب جزائريين.

تحليل هذه المجموعة المختارة من قصص الأطفال بداية من عناوينها ثم مضامينها المكتوبة والمصورة، ولمعرفة مدى ملائمة الخط والصورة واللون لسن الطفل.

تحليل كل قصة على حدى من خلال استخراج أهم المؤشرات التي تساعد على تنمية روح المواطنة.

تبيان ما ترمز إليه هذه المؤشرات داخل القصة (اسم، حيوان، شجرة، تاريخ، جغرافيا...) وعلاقاته بالجانب الديني والتاريخي أولتنمية روح التعاون والحفاظ على الوطن وممتلكاته كمفهوم بسيط قد تمثله قرية صغيرة.

ثالثاً: أهمية الدراسة: تتمثل أهمية الدراسة في النقاط التالية:

أهمية مرحلة الطفولة في البناء العقلي والسيكولوجي للمواطن الراشد الذي يعتبر مسئولاً عن تنمية وحماية وطنه مستقبلاً.

خطورة مضامين الكتابات وما يصاحبها من رسومات والموجهة للأطفال، إذ أن مجرد رمز أو اسم، خريطة...يقع سهواً قد يعلم الطفل مسائل خطيرة عن وطنه وبدل أن يحبه، يتخلى عنه أو تكون علاقته به هشة.

تحسيس المهتمين بالكتابة للأطفال بأهمين زرع روح المواطنة لدى الطفل من خلال القصة.

أهمية القصة في حد ذاتها باعتبارها صديقة الفرد في مرحلة الطفولة وسهولة تعلقه بها خاصة إن كانت مشوقة.

قلة الدراسات التي تهتم بقصة الطفل سيكولوجياً وتاريخياً ودينياً... وهذا من خلال عدم الاهتمام الكبير بالكتابات الموجهة للطفل رغم خطورتها وأهميتها وقيمتها المعرفية والسيكولوجية. وقد يعود ذلك لعدم وجود رقابة فعالة على ما يكتب وينشر باسم الطفولة.

رابعاً: الخلفية النظرية للدراسة:

المواطنة:

لا يستطيع أحد أن يشكك في حب الآخر لوطنه، ومهما كانت الظروف، حيث أن الافتخار بالانتماء لهذا الوطن أوداك هو في حد ذاته يعبر عن الروح الحقيقية للمواطنة. ومهما كان الفرد متزعجا من حاله ووضعيته داخل وطنه، فإنه وبمجرد شعوره بأن وطنه في خطر ينتفض مدافعا عنه بالقلم والصورة والمال والروح. ومن مستويات المواطنة أيضا نجد الفرد محترما لقوانين الوطن الذي ينتمي إليه وولد فيه، ولا يحاول اختراق هذه القوانين حفاظا على وطنه وتعبيرا منه عن حبه لهذا الوطن. وهو بهذا لا يتسبب في مشكلات وتعقيدات له بل يحاول المشاركة في حل هذه المشكلات إن وجدت.

وفي الأخير فإن الفرد وحتى إن كان لا يشارك في خلق المشاكل لوطنه ويشارك في تدهوره، فإن عليه أيضا أن يشارك في بنائه وتنميته وتطويره. وتنمية روح المواطنة هي مسؤولية الكثير، بل هي مسؤولية كل الأطراف الاجتماعية والمدنية كالأُسرة والمدرسة والمسجد وبقية المؤسسات خاصة منها المؤسسات الإعلامية لما للإعلام من أهمية خطيرة، خاصة بالنسبة للطفل حيث أن روح المواطنة يجب أن تنمى مع مراحل الحياة، أي تنمو بنمو الفرد، حتى نضمن أقل قدر ممكن من الأصالة والانتماء والتشعب بالقيم الاجتماعية والدينية والثقافية.

تعريف المواطنة: citizenship, citoyenneté

تعريف المواطنة لغة:

المواطنة من الوطن؛ والوطن يعني " المنزل تقيم فيه، وهو موطن الانسان ومحله؛ وطن بالمكان وأوطن أقام. وأوطنه اتخذه وطنًا. والموطن: المشهد من مشاهد الحرب، وفي التنزيل العزيز >لقد نصركم الله في مواطن كثيرة"< (ابن منظور، [د.ت]: 4868)

المواطنة اصطلاحًا:

المواطنة من الوطن، " والوطنية تأتي بمعنى حب الوطن patriotism في إشارة واضحة إلى مشاعر الحب والارتباط بالوطن وما ينبثق عنها من استجابات عاطفية. أما المواطنة فهي صفة المواطن التي تحدد حقوقه وواجباته الوطنية. وتتميز المواطنة بنوع خاص من ولاء المواطن لوطنه وخدمته في أوقات السلم والحرب، والتعاون مع المواطنين الآخرين في تحقيق الأهداف التي يصبوا إليها الجميع.

تعرف الموسوعة العربية العالمية المواطنة بأنها: اصطلاح يشير إلى الانتماء إلى أمة أو وطن. وفي قاموس علم الاجتماع تم تعريفها على أنها مكانة أو علاقة اجتماعية تقوم بين فرد طبيعي ومجتمع سياسي (الدولة) ومن خلال هذه العلاقة يقدم الطرف الأول الولاء ويتولى الطرف الثاني الحماية" (عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، 1995: 56). وينظر إليها

فتحي هلال وآخرون من منظور نفسي بأنها الشعور بالانتماء والولاء للوطن وللقيادة السياسية التي هي مصدر الإشباع للحاجات الأساسية وحماية الذات من الأخطار المصيرية" (جابر محمود وناجي ناصر، 2001: 6)

كما "تشير دائرة المعارف البريطانية إلى المواطنة بأنها علاقة بين فرد ودولة كما يحددها قانون تلك الدولة، وبما تتضمنه تلك العلاقات من واجبات وحقوق في تلك الدولة. وتؤكد على أن المواطنة تدل ضمنا على مرتبة من الحرية مع ما يصاحبها من مسؤوليات" (الكواري علي، 2000: 5)

"وتطرح دراسة حديثة، حول مقومات المواطنة، رؤية تتلخص فيما يلي: المواطنة تجسيد لنوع من الشعب، يتكون من مواطنين يحترم كل فرد

منهم الفرد الآخر، ويتحلون بالتسامح تجاه التنوع الذي يزخر به المجتمع.

من أجل تجسيد المواطنة في الواقع، على القانون أن يعامل ويعزز معاملة كل الذين يعتبرون بحكم الواقع أعضاء في المجتمع، على قدم المساواة، بصرف النظر عن انتمائهم القومي أو طبقتهم أو جنسهم أو عرقهم أو ثقافتهم

وبين حقوق المواطنة وواجباتها يجد الفرد نفسه بين الوضع القانوني

(الحقوق والواجبات) والاعتقادات والمشاعر (المواقف والسلوك) وفيما

بينهما نجد الهوية (الجنسية والانتماء) " (الكواري علي، 2000: 6-7)

ومن خلال ما تقدم فإن المواطنة تعني:

- العيش أو الميلاد في حيز جغرافي معين.
 - التمتع بحقوق وأداء واجبات على أرض الوطن.
 - الشعور بحب هذا الوطن والانتماء له والاعتزاز به.
 - المحافظة على هذا الوطن والمشاركة في تنميته، من خلال مجموعة من السلوكيات والمعتقدات.
 - التعايش والتسامح من الآخر داخل هذا الوطن.
3. أهم عناصر المواطنة: كما تمت الإشارة إليه سابقا فإن مفهوم المواطنة يرتبط بمجموعة من المفاهيم التي لا حصر لها؛ غير أن هذه المفاهيم يمكن اختصارها في ثلاث عناصر أساسية وهي:
- الثقافة:**

السمات القومية في ثقافة أي شعب أو أمة هي الملامح الثقافية الواحدة التي تشكلت في إطار جغرافي بشري متميز عن غيره وبإسهام الفئات الاجتماعية المختلفة وتصبح هذه الثقافة نتاجا لفعالية هذه الأمة، تعبيراً عن شخصيتها القومية وهويتها الحضارية وإبداعها الفكري والمادي المستمر، ويعرف تايلور الثقافة بأنها: ذلك الكل المركب الذي يحتوي على المعرفة والاعتقاد والفن والأخلاق والقانون والعادات والتقاليد وأي قدرات أخرى تكتسب بواسطة الإنسان باعتباره عضواً في المجتمع" (هلاوي، حاتم، 2005: 381-382)

"والانفتاح الثقافي عبارة منهجية ثقافية، قوامها البحث عن المعرفة من كل الثقافات الانسانية دون العمل على الغاء بعض الثقافات وإقصائها من الخريطة الثقافية وإنما هتواصل مع الثقافات الانسانية"(مراد ومالكي، د.ت: 545) وقد كثر الحديث عن الانفتاح الثقافي كمحاولة للتصدي أوالتقبل اللامشروط للعولمة الثقافية التي فيها من السلبيات ما فيها من الايجابيات وأكثر.

المجتمع:

إن المواطنة لا يمكن الحديث عنها دون وجود مجتمع بكل عناصره، وحتى تكون المواطنة حقيقية يجب أن يكون هناك تعاون بين أفراد المجتمع الواحد، وبلغة ديموقراطية يجب أن تكون هناك شراكة مجتمعية. "إن امكانية حدوث شراكة مجتمعية- وبالتالي الحديث عن سلوك المواطنة- في أي مجتمع كان دون المرور على محطة العلاقة الوثيقة بين حلقات ثلاثة: الثقافة والمجتمع والفرد، وما تفرزه من وكلاء أووسائط بشرية أومؤسسية للتغيير، يعتبر ضرباً من ضروب التجاهل الأعى الذي سوف لن يؤثر ايجابيا في معالجة الظاهرة. وتجسد المواطنة دور العضو في الجماعة التي ينتمي إليها، فهو مواطن حينما يسجل حضوره الدائم في عملية المشاركة الواسعة، وأيضا المساهمة الفعلية في تحقيق مساعي تلك الأهداف". (عيشور نادية، 2008: 192-193)

إن مفهوم المواطنة إذا ما عالجناه في سياقه التاريخي قد نجد أن عملية اسقاطه أو مجرد استعارته كنموذج وكسلوك يميز المجتمعات الديمقراطية الحديثة يحتاج إلى وقفة تأمل ومراجعة. فالمواطنة حسب ما أشار إليه الدكتور فرحاتي العربي من حيث هي تركيز بالتربية لانتماء الفرد في حيز ما، جغرافي أو فكري أو عقدي أو طبقي... هي خطاب الهوية (النحن الوجودية) بالدرجة الأولى... وهو يجعلها بالضرورة في علاقة بالديموقراطية بوصفها شكلا من أشكال العلاقة الاجتماعية التي طورها الغرب خاصة منذ العهد اليوناني. تقوم على مبادئ أخلاقية كالتسامح والتعاون ومبادئ وجودية كالحرية في الاختبار وتكافؤ الفرص في المشاركة الاجتماعية (النحن المدنية)". ("عيشور نادية، 2008: 196) هذا من جهة؛ ومن جهة أخرى يجعلها في علاقة وطيدة بالعملة التي تحاول جعل كل المجتمعات مجتمعا واحدا دون وجود قيود وحدود ومميزات ثقافية ودينية واقتصادية وحتى سياسية رغم استعصائها عليها.

الشخصية:

لا يمكن الحديث عن المواطنة سواء لدى الطفل أو المراهق أو الراشد دون الحديث عن الأنا والهوية والذاتية. إذ يبدأ الأنا في التبلور في مراحل الطفولة الأولى، ليصل إلى نمو مفهوم الدور والهوية بشكل أكثر وضوح في مرحلة المراهقة والتي تعتبر أزمة حقيقية بمفهوم الدور والشعور بالانتماء

وبالتالي المواطنة، إذ ينتمي الفرد ويؤدي دوره بمختلف مجالاته ضمن حدود وطن محدود جغرافيا، ثقافيا واجتماعيا...

"عرف اريكسون الهوية بأنها المجموع الكلي لخبرات الفرد، وسلم بأن تركيب الهوية يتضمن مكونين متميزين يرجعهما إلى كل من هوية الأنا-ego identity وهوية الذات self-identity، وترجع هوية الأنا الى تحقيق الالتزام في بعض النواحي كالعمل والقيم الايديولوجية المرتبطة بالسياسة والدين وفلسفة الفرد لحياته. أما هوية الذات فتخرج إلى الادراك الشخصي للأدوار الاجتماعية" (عبد الرحمن السيد، 1998: 275)

" والهوية بضم الهاء identité يترجم حرفيا (بالوجود هناك l'être-cela) وهو مصطلح ينتمي إلى المعجم الفلسفي العربي منذ العصر الوسيط ويحيل في المنطق إلى مبدأ الذاتية أو الهوية، كموقولة ميتا فيزيقية دالة على الماهية. والهوية بفتح الهاء تستعمل في الشرق الأوسط للدلالة على بطاقة التعريف. وهذا فإن مفهوم الهوية يتواجد مع مفاهيم أخرى عديدة قريبة منه لها دلالة أغنى منه، ويرتبط بها على المستوى السيمانطيقي والمفاهيمي والإيديولوجي، وهكذا فإن الأصالة authentité والذاتية identité والأنا ego هذه لها مفاهيم مرتبطة بما يقابلها ويضادها." (العظمة عزيز، 2005: 17-

(18)

تنمية روح المواطنة لدى الأطفال:

إن مطلب تنمية وتعزيز روح المواطنة لدى الأطفال أصبح ضروريا بل ولا خياراً أو بديل عنه، خاصة في ظل الهيمنة العالمية السلبية منها بالتحديد؛ ومدى تغلغلها وتشويشها حتى على مستوى بنية الهوية لدى الشباب الجزائري والعربي على السواء. " ومن هذا المنطلق فإن مشروع تعزيز المواطنة يعد مبادرة خلاقة تهدف إلى التعامل مع أحد أهم القضايا التي تعاني منها جميع المجتمعات في ظل العولمة وتأثير وسائل الاتصال الجماهيري. وفي مجتمع مفتوح...يعتمد على مبادئ الإخاء والتعاون والعمل المشترك فإننا لا نسعى للتفوق والنأي عن الحضارات المختلفة بل نسعى لأن نمتزج بها دون التفريط بهويتنا الوطنية. وتهدف مثل هذه المشاريع إلى تجذير الشعور بشرف الانتماء للوطن، والعمل من أجل رقيه وتقدمه، وحب العمل من أجل الوطن ودفع الضرر عنه، والحفاظ على مكتسباته، والمشاركة الفاعلة في خطط التنمية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية. (

(<http://www.southern.gov>. 01.01.2014)

" في نفس السياق أشارت الباحثة بديعة الهاشي إلى أن الكتابة القصصية للطفل لم تكن منتشرة في الإمارات في السابق إلا أن الكتاب الإماراتيين بدأوا يدركون ما لهذا اللون من الأدب من دور حاسم في ترسيخ الهوية الثقافية للمجتمع لدى أبنائه، وجعلهم قادرين على مواجهة التحديات الحضارية بوعي، وأدى هذا إلى انتشار القصص المشبعة بعناصر

الثقافة المحلية. وعرفت الهاشمي بمفهوم الهوية الثقافية، معتبرة أنها مجموع العناصر اللغوية والأدبية والفنية والدينية، والتقاليد الاجتماعية التي يشترك فيها أبناء مجتمع واحد، وتشكل سمة خاصة لهم." (الهاشمي بديعة، 28.12.2013)

يمكن تنمية روح المواطنة لدى الأطفال من خلال ما يقدم لهم في المدرسة، مثلا الاحتفال بالاعیاد الوطنية. وتشارك وسائل الإعلام بشكل كبير وخطير في تنمية المواطنة لدى الأطفال من خلال ما تعرضه من مواد إعلامية عبر مختلف وسائل العرض والاتصال، حيث أنه من خلال المواضيع التي تتناولها الرسوم المتحركة مثلا يمكن استغلالها لتنمية روح المواطنة من خلال تنمية الرغبة في الحفاظ على سلامة البيئة وصحة المحيط...

والقصة الموجهة للأطفال، هي الأخرى من أهم مصادر تعليم وتنمية روح المواطنة لدى الأطفال من خلال موضوعات القصص المختلفة التي تتناول مفاهيم ذات صلة عميقة بمفهوم المواطنة مثل الأرض، المدينة، الأسرة، الشعب، التاريخ، الجغرافيا، الثورة، المحافظة على البيئة، الوحدة، التعاون، خدمة الأهل والحي والوطن ككل.

لقد أشارت النتائج التي توصل إليها هنري وسامز Henry & Sims (1970) "إلى أنه يوجد لدى الممثلين إحساس أكبر بالتشوش

confusion أو **التششت** **diffusion** في إحساسهم بالهوية **identity**. وقد فسر الباحثان هذه النتائج بالرجوع إلى الخبرة التي كانت مفتقدة لديهم نتيجة للشعور الخاص بالدور المنفصل وغير المؤكد، الذي كان موجودا خلال الطفولة. ولأن الممثلين يكونون قد فشلوا في تطوير احساس قوي بالهوية خلال طفولتهم، كما يقول هذان الباحثان، فإن حياتهم تصبح سعيا وبحثا عن ذلك الأسلوب من الحياة المناسب لهم. وهكذا تبدأ عمليات التجريب الخاص بالدور. (ويليون، جلين، 2000: 312)

* **تكامل شخصية الطفل:** من الخطأ الفادح أن يُظن أن المكتسبات التي يتعلمها الطفل والاستجابات التي يستجيب لها تتكسد إلى جانب بعضها وتتراكم، والأصح أن نتصور أن كل جديد يعدّل ما هو قديم ويتحد به. وهكذا فإن الشخصية تقوم في كل مرحلة على صهر جميع أجزائها في خدمة الفعاليات الأهم، فالتكامل النفسي يتم بالانتفاع من تجارب الشخصية كلها وتجاوز الفشل. وتختلف شخصية الطفل عن شخصية الراشد في أن الطفل لا يدري تماما ماذا يريد، وهو يعجز عن الوقوف موقف الكبار في وجه شهواته، هكذا تكون الشخصية معتبرة وتكون الصحة النفسية عظيمة. إنها شخصية تُلد بالتعب وتفرح بالألم من أجل خدمة الناس والآخرين. وهي لا تكاد تعرف الراحة إلى أن تنتهي من البذل. (السبيعي، عدنان، 1997: 81-84-85)

هذا هو الهدف الأساسي من زرع روح المواطنة؛ أي أن يصبح الفرد قادراً على البذل اتجاه وطنه وخدمته دون كلل أو ملل وأثناء معاشته واقعه السعيد أو المرير. وعليه فإن "منح الذات فرصة التعامل مع الواقع مباشرة دون واسطة هو المظهر الأول والأساسي في معرفة الحياة عن قرب وبعمق، تلك الحياة المؤسسة على قاعدة اثبات الوجود وحماية <الأنا> من الاندثار والهلاك أو تعرضه للأخطار" (محمد بشير، 2007: 27)

"ينظر مورتن برنس Morton Prince إلى الشخصية من حيث اجتماع لعدد من العناصر أو لعدد من المكونات الأساسية. وهو يقول عنها أنها: كل الاستعدادات والنزعات والميول والغرائز والقوى البيولوجية الفطرية والموروثة، وهي كذلك كل الاستعدادات والميول المكتسبة من الخبرة" (حجازي سناء، 2009: 17)

* الهوية الشخصية: هي شعور الشخص بأنه نفسه، نتيجة اتساق مشاعره، واستمرارية أهدافه ومقاصده وتسلسل ذكرياته، واتصال ماضيه بحاضره ومستقبله" (حجازي سناء، 2009: 23) وطبعاً هذا التسلسل يكون داخل حيز جغرافي معين وقيم اجتماعية واضحة مستقرة والامتداد الفردي أن يستمر.

خامساً: عرض نتائج الدراسة سيكوتحليلية لعينة من قصص الأطفال.

نعتمد في دراستنا هذه على الجانب السيكوتحليلي للقصة الموجهة للأطفال من خلال عمليات التقمص التي تعتبر مهمة جدا في هذه المرحلة التي تقابل المرحلة الابتدائية. حيث يعرف التقمص بأنه " ميكانيزم سيكولوجي لا شعوري أين يصبح سلوك الفرد نموذجا لسلوك الآخر" (Sillamy,N.1996 :130)

إن الحديث عن المواطنة لدى الطفل أمر بالغ الأهمية نظرا لأهمية هذه المرحلة النمائية، لأنه بالنسبة له الجغرافيا والتاريخ وطن؛ والأسماء وطن؛ والحرية وطن؛ والحدود تعبر عن وطن، واللغة وطن؛ والأسرة والآخر وطن، والدين والثقافة والسلوكيات والقيم موطن وكل ما يدور حوله وينميهِ الآخر لديه وطن...رغم أنه لا يدركها ادراكا معرفيا متنامي تجريد وعميق إلا أنه يعيش هذه المشاعر الصادقة بقوة قبل أن تحاول الأيدي البعيدة والقريبة تشويشها، وبالتالي تشويهها في الهوية.

تُعرض قصص الأطفال بأساليب مختلفة غير أنه من المفروض أن تأخذ بعين الاعتبار قدرات الطفل اللغوية والمعرفية، وكذا طرق جلب انتباهه من خلال الصور والرسوم التي تكون في الغالب إيضاحية ولجلب اهتمام الطفل كونه محبا للألوان والروسومات ورصيده محدود. و تكون عادة قصيرة لضمان عدم ملل القارئ الصغير.

و يعكس كاتب القصة عن قصد و-ربما دون قصد- عناصر المواطنة بمختلف ابعادها الثقافية والجغرافية والتاريخية والاجتماعية والدينية والاجتماعية والفنية والذاتية وأحيانا حتى السياسية التي تركز على مجموعة من السلوكيات قبل أن تكون مفاهيم. أوبصير أدق سكميات بسيطة استعدادا لمفاهيم أكثر تعقيد وتجريدا. وعليه فإنه ومن خلال هذه الدراسة سنحاول استشفاف أهم هذه القيم اي قيم ومؤشرات المواطنة من خلال مجموعة عشوائية من قصص الأطفال.

القصة الأولى: عنوان القصة "حمار الأوراس" وهي من سلسلة روائع القصص العالمية. وقد كتبت هذه القصة باللغة العربية، وتتضمن نصا مقروءا ونصا مرثيا في 8 أوراق 4 صفحات منها غير مكتوبة أي تحتوي على صور فقط، وقد حاول الكاتب من خلال هذه القصة تبيان الوحدة(مؤشر سيكولوجي واجتماعي) التي كان يعيش فيها حمار الأوراس ويصف حالة الحزن(مؤشر انفعالي) التي كان عليها. و بعدها حاول أن يبين -للأطفال- مدى أهمية الصداقة بمصادقة (مؤشر اجتماعي) هذا الحمار لطفل اسمه أحمد(مؤشر ديني).

ثم أشار إلى التعاون الذي كان بينهما (مؤشر المواطنة)، ثم أشار إلى جزئية مهمة بيئية تدل على جغرافية مهمة وهي شجر الفلين. بعدها بدأ الكاتب في تبيان (الشعور بالانتماء والتعلق بمحمد) حتى أنه لم يقوى على

النهيق. واتسع هذا الشعور إلى أهل القرية محاولاً أن يفهم سبب حيرتهم، إلى أن نسي حزنه من فرط تخمينه في حالة صديقه وقرية صديقه. لينتقل بالاطفال إلى فكرة مهمة وعظيمة هي (الثورة) (مؤشر تاريخي) أين كان الاستعمار هو سبب غياب أحمد صديقه، ليتبين فيما بعد أن الحمار على علاقة بالمجاهدين وهم من قام بالاهتمام بأحمد في جبال الأوراس وعبر به الحدود (عين الدراهم) (مؤشر جغرافي) لتنتهي القصة بتحقيق هدف وهو حماية أحمد من الاستعمار بتعاون كل من حمار الأوراس و المجاهدين.

نلاحظ من خلال هذه القصة ان الكثير من مؤشرات المواطنة كانت واضحة بداية من العنوان (حمار الأوراس) ونحن نعرف ما ترمز له جبال الأوراس ومشاركتها المهمة في الثورة الجزائرية إذ تعتبر مؤشر جغرافي مهم يدل على الانتماء والشعور بالفخر لمجرد ذكره. كما ان محتواها جاء سلساً فلم يركز على الحرب بل ركز على الانفعالات (حزن، وحدة، سرور، صداقة...خوف، طمأنينة) وبطريقة غير مباشرة اشار لمفهوم البحث عن الحرية واسترجاعها من الغريب للعيش بطمأنينة، وكلها تصب في مفهوم حماية الوطن وهذه هي المواطنة الحقيقية.

القصة الثانية: عنوان القصة "أين المعلمة" وهي من سلسلة أقاصيص الأيكة. وقد كتبت هذه القصة باللغة العربية وبخط واضح خشن، وتتضمن نصاً مقروءاً ونصاً مرثياً في 4 أوراق فيها نص مقروء مع صور

موضحة، وقد حاول الكاتب من خلال هذه القصة تبيان وتشجيع الأطفال على فكرة حب المدرسة (كمؤشر علائقي سيكولوجي وتربوي) إذ أن المدرسة لها عدة دلالات، منها التربوية ومنها السلوكية وهي مصدر مهم لتنمية روح المواطنة.

ثم انتقل بنا الكاتب إلى حق المرأة في العمل (المساواة بين الرجل والمرأة كأحد أسس المواطنة في الدولة الديمقراطية)، ليعيش أحمد (مؤشر ديني قومي) حيرة شديدة عندما رأى التلاميذ ينادون أمه سيدتي! ولم يستطيع ان يجعل أمه المعلمة تعامله كما في البيت. (ضرورة الفصل بين الحقوق والواجبات كأهم العناصر التي تدل على نمو مفهوم المواطنة). غير أن أحمد لم يقتنع بتفسير أبيه للوضع. وبقي يعيش في حيرة ويطالب بأن تكون له أما ومعلمة منفصلتين كبقية التلاميذ. وربما هذه النهاية تدل على مرحلة التساؤلات التي يمر بها الطفل وهي مهمة لتعلم احترام الآخر والتنازل لوقت محدد ع أمه لتعلم بقية التلاميذ (تعلم التعاون والإيثار من أجل هدف أسمى) وقد يكون لها أهداف أخرى.

نلاحظ من خلال هذه القصة أنه من مؤشرات المواطنة هوفكرة المساواة بين المرأة ورجل في الحقوق والواجبات داخل وخارج المنزل. كما ان محتواها جاء بسيطا واضحا ولم يركز كثيرا على الانفعالات (فرح، حيرة) وبطريقة غير مباشرة اشار لمفهوم المغايرة والتميز عن الآخر وأن هذا التميز

قد يكون ايجابي أو سلبي. وهذا يساعد في تأكيد الذاتية السوية بعد التوافق النفسي والاجتماعي، وكذا من خلال الطموح في المعرفة اكثر والاجابة على الاسئلة المحيرة. وكل ما ذكرانه له علاقة من بعيد أو من قريب في تنمية روح المواطنة.

القصة الثالثة:

عنوان القصة "أحكي لي يا أمي" وهي من سلسلة قصص وعبر للأطفال. وقد كتبت هذه القصة باللغة العربية البسيطة التي تلائم مرحلة الطفولة، وتتضمن 6 قصص قصيرة وهي مزودة بصور غير ملونة. وقد حاول الكاتب من خلال هذه السلسلة تبيان أحد المؤشرات الدينية (عبد الاضحى، الصلاة) وما يصاحبها من انفعالات ايجابية، والشعور بحاجة الآخرين والاصرار على المساعدة (التعاون).

أما في الاقصوصة الثانية فكانت ترمي إلى تبيان ضرورة التعاون في كل شئ والحفاظ على نظافة المحيطة (حماية الوطن وبيئته من التلوث والحفاظ عليه نظيفاً). وفي القصة الثالثة بين أيضاً أهمية التعاون وتكوين أسرة سعيدة ثم أكد على مفهوم مهم في تنمية روح المواطنة وهو الدور؛ أي أن لكل فرد دور يؤديه وهذا حسب قدراته كما حدث مع العنديل وزوجته التي ارادت أن تجلب الطعام وتعرضت للخطر. في الاقصوصة الرابعة فركزت على مفهواساسي من مفاهيم المواطنة وهو (الحرية) التي اشتاق اليه

قرد السرك بعد ما عاشه من خبرات سيئة داخل قفص السيرك. والقصة الخامسة دارت حول قيم الخير والشر والأناية وعدم التعاون مع الغير وسوء المعاملة ونهاية من يخرج عن الجماعة.

في القصة الاخيرة تعرض الكاتب إلى مفهوم آخر لا يقل أهمية عن بقية المفاهيم وهو مفهوم الانا المثالي ومثالية الأنا، أين يرفض الفرد شكله وما خلق عليه ليريد ان يصبح مثل الاخر وينسلخ من حقيقته، والنصيحة التي يتلقاه من الأصدقاء (وهنا نجد مفهوم الصداقة والتعاون والرضا بما خلقنا عليه كأحد رموز و مكونات الهوية الدينية)

نلاحظ من خلال هذه القصة ان تم استخدام أسماء عربية (سعيد وعلي) لها أيضا امتداد ديني ثقافي، كما كانت القصص أبطالها خليط من الأفراد والحيوانات وهي نقطة مهمة بالنسبة للأطفال لتقريب مؤشرات مفهوم المواطنة بشكل أكثر بساطة ووضوح. ومن هذه المؤشرات اشارنا إلى مؤشرات دينية(الرضا بخلق الله، الاسماء) واخرى اجتماعية(التعاون) وركز على مجموعة من الانفعالات من خلال هذه الحكايات مثل (حزن، عدمالرضا، الفرح، الشعور بحاجة الآخر والاشفاق عليه...خوف، طمأنينة) وهذه المؤشرات ورغم انها غير واضحة مقارنة بالقصص السابقة إلا انها لا تخلوا اي القصص من عناصر مهمة تساعد على تنمية روح المواطنة لدى الاطفال.

القصة الرابعة:

عنوان القصة "العزة والذئب" وهي من سلسلة أجمل قصص الاطفال. وقد كتبت هذه القصة باللغة العربية، وتتضمن نصا مقروءا ونصا مرئيا في 4 اوراق مكتوبة وفيها رسوم، وقد حاول الكاتب من خلال هذه القصة تبيان أهمية وحدة الأسرة خاصة من خلال سماع الصغار لكلام الكبار ونتيجة مخالفة أوامرهم ومخالطتهم للغريب (عن الذات والجنس والوطن) وأن التهديد محيط بالبيت (كما هو محيط بالوطن)، وفي الاخير اهمية القدرات العقلية(الذكاء) في حل المشكلات بالتعاون مع الأم(المسؤول) لحماية المجتمع من الخطر الذي يهدده، وهي مؤشرات سياسية اجتماعية عميقة للمواطنة.

نلاحظ من خلال هذه القصة أن فكرة الوطن تمثلت في الام، فهي تمثل الوطن الذي عليه توفير الحماية لافراد وتمثل السلطة التي تعطي الاوامر لصالح هؤلاء الافراد، كما تؤكد على اهمية التعاون لحل المشكلات التي تواجهنا ومسامحة الآخر حتى وان أخطأ.

القصة الخامسة:

عنوان القصة "الارنب الشجاع" وهي من سلسلة أجمل قصص الاطفال. وقد كتبت هذه القصة باللغة العربية، وتتضمن نصا مقروءا ونصا مرئيا في 4 اوراق مكتوبة وفيها رسوم، وقد حاول الكاتب من خلال

هذه القصة تبيان أهمية تحمل المسؤولية لمساعدة الضعفاء من الاخوة وكذا العيش بحرية، والتعاون مع الجار لرد الاعداء المشتركة بذكاء وفطنة (اعداء الوطن) وكذا اهتمت القصة بتبيان أهمية توسيع العلاقات الاجتماعية للعيش بصورة افضل داخل الوطن الأم. كمفهوم مهم للتعايش مع الآخر من بني جنسه حتى وان كان خارج العائلة. إذا هذه القصة ركزت على القدرة الجسدية بطريقة غير مباشرة والقدرة العقلية في العيش بحرية والتعاون مع الآخر لتجنب والتخلص من التهديدات المستمرة لخلق حيز آمن وكذا تحمل المسؤولية.

نلاحظ من خلال هذه القصة أن فكرة المواطنة تمثلت في تحمل المسؤولية مقابل العيش بحرية والحفاظ على النفس وعلى الممتلكات، بالتعاون مع الآخر للعيش في بيئة أكثر صحة وسلامة والاستمرار في تحقيق الأهداف بقوة وذكاء. وهي تمثل روح المواطنة أين على الفرد توفير الحماية لنفسه ولغيره وليستمر معهم ويتعايش معهم بسلام. وهي فكرة توجي بقبول الآخر والعيش معه.

خلاصة:

القصص في مجملها من حيث اللغة كانت سلسلة واضحة، مكتوبة باللغة العربية وقد عالجت الكثير من مؤشرات المواطنة ذات البعد الديني والاجتماعي والثقافي والسياسي و السلوكي... وقد كانت القصص متضمنة

لنص مقروء أو لرسوم وصور مرئية وقد تتضمنهما معا. " لقد فرضت الرسوم أو الصور عند ظهورها تقسيما خاصا على مستوى الشكل الخارجي للنص، فصارت القصة مجزأة إلى فقرات، يلزم كلا منها رسم يترجمها ويكملها، ومن ثم تعدد القراءة من قراءة الفقرة اللغوية إلى قراءة الألوان كونها دلالات تعبيرية من حيث انفراد كل لون بتفسير نفسي جمالي.

فعندما ولدت القصة المصاحبة بالرسم في القرن التاسع عشر، آنذاك عرف الأطفال فيها لغة إجمالية متلائمة مع خبرتهم وفهمهم للواقع، ويكفي أن يكون ظهور جانب الرسم أو الصورة معيارا لتصنيف مستوى الكتابة للأطفال، حيث يفهم على أنه (فن بصري يخاطب العين عندما يحول الصورة الواقعية المشدودة بمنطق الواقع الى صورة بصرية يكتسب وجودها من منطق آخر هو منطق الخطوط والألوان والعواطف.

كما يفعل نفس الشيء عندما يحول الصورة الذهنية التي تكمن في معاني الكلام الذي يؤلف النص في الكتابة)، والإستعانة بالطاقة البصرية في اكتناه الموضوع القصصي ضرب من التوكيد على أسبقيته في الإتصال بالمعطيات المعرفية المحيطة بالطفل، ولا تهدف الصور المصاحبة للنص القصصي الى محاكاة الواقع الحرفي بل ترمي إلى الترميز وإضفاء البعد القيمي على الأشياء لتمرير خطاب ما أوقيمة من القيم. الفكرة المنطوقة + الفكرة المرسومة = تكامل تفسيري وعلاقة تبادلية وهي توحيد الرؤية

الدلالية" (http://www.amicheabdelkader.com. 28.12.2013) وعليه فإن القصص تحمل معان ودلالات عميقة يمكن من خلالها تنمية روح المواطنة لدى الاطفال. ووجب على كل من يهتم لهذا الجانب الانتباه إلى أن قصة مكتوبة أو مصورة بألوان مناسبة وزاهية يمكننا أن تؤثر تأثيرا بالغا على شخصية الطفل وحبه لوطنه مما قد تفعله خطابات درس اصحابها في أعرق الجامعات ونهموا من مختلف العلوم.

قائمة المراجع:

- 1 ابن منظور. (د.ت). لسان العرب. دار المعارف. pdf
- 2 حجازي سناء. (2009). علم النفس الإكلينيكي للأطفال. عمان: دار المسيرة.
- 3 عيشور، نادية. (2008). سلوك المواطنة في المجتمع الجزائري: بين آليات التنشئة الثقافية وقواعد اللغة السياسية. مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، 6، 189-208.
- 4 هلاوي، حاتم. (جوان، 2007). العولمة الثقافية وانعكاساته على الأنساق القيمية في الدول العربية. المجلة الجزائرية للدراسات السوسولوجية، 3/2، 381-395.
- 5 محمد، بشير. (2007). الأنا، الآخر: ورهانات الهوية في المنظومة الأدبية الجزائرية. وهران(الجزائر): منشورات دار الأديب.

- 6 العظمة، عزيز. (2005). سؤال ما بعد الحداثة؟. مفاهيم عالمية الهوية: من أجل حوار بين الثقافات. (ترجمة عبد القادر قنيني). الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
- 7 جابر محمود وناجي ناصر. (2001). دور الجامعات في تعزيز مفهوم المسؤولية الاجتماعية لدى طلبتها. فلسطين.
- 8 الكواري، علي. (2000). مفهوم المواطنة في الدول الديمقراطية. الدوحة. Pdf
- 9 ويلون، جلين. (2000). سيكولوجية فنون الآداب. ترجمة؛ شاكر عبد الحميد. الكويت: عالم المعرفة سلسلة عالم المعرفة.
- 10 عبد الرحمن السيد. (1998). نظريات الشخصية. القاهرة: دارقبا.
- 11 السبيعي، عدنان. (1997). الصحة النفسية: لأطفال المدرسة الابتدائية 6-12 سنة. دمشق: دار الفكر.
- 12 عاطف غيث. (1995). قاموس علم الاجتماع. الاسكندرية: دارالمعرفة الجامعية.
- 13 مراد، مالكي. (د.ت). أثر الانفتاح الثقافي على مفهوم المواطنة لدى الشباب الجزائري. مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية. 540-558. pdf
- 14 Sillamy, N. (1996). dictionnaire de la psychologie. Paris :Larousse.
- 15 مشروع تعزيز لمواطن. (01.01.2014). http://www.southern.gov.bh/social_achivement.

16 الهاشمي، بديعة: قصص الأطفال ترسخ الهوية الثقافية للمجتمع.

<http://www.alkhaleej.ae/alkhaleej>.(28.12.2013)

17 أهمية الرسم في قصص الاطفال.

<http://www.amicheabdelkader.com> .(28.12.2013)

قائمة القصص:

- حمار الأوراس، عبد الجبار الشريف. دار اليمامة. سلسلة روائع القصص العالمية.

- أين المعلمة، بشير البجاوي. دار اليمامة. سلسلة:أقاصيص الأيكة.

- أحكي لي يا أمي، ياسر خالد سلامة. جسور للنشر والتوزيع. سلسلة:

قصص وعبر للاطفال

- العنزة والذئب، دار البدر للطباعة والنشر والتوزيع.الجزائر. سلسلة:

أجمل قصص الأطفال (13)

- الأرنب الشجاع، دار البدر للطباعة والنشر والتوزيع.الجزائر. سلسلة:

أجمل قصص الأطفال (20)